الصوت محاضرة١١: الصوت والمعنى

الصوت والمعنى :

يدرج هذا الموضوع تحت ظاهرة (مناسبة حروف العربية لمعانيها) وقد اختلف العلماء حول القيمة التعبيرية للحروف بين قائل بعشوائيتها ، وبين قائل بدلالتها على الحدث ، فالقائلون بالعشوائية يضعون أمثلة مثل : رجل ، وامرأة ، فلا علاقة بين (الراء والجيم ، واللام) في كلمة (رجل) وبين هذا الكائن البشري ، وكذلك الحال كلمة (امرأة) ، وذهب بعض العلماء أيضا الى ان كلمة (ضرب) لا علاقة بين حروفها ودلالة كل حرف منها ، وان أرى أنّ هناك بصيص علاقة بينهما ، فالضاد تدل على الاطباق ، وهو بداية الضرب ، والباء من الحروف الشفوية التي تنطبق من خلالها الشفتان ثم تنفرج ، وهذا الانفراج يمثل نهاية الضرب .

وذهب غيرهم الى وجود علاقة بين الدال والمدلول ، بمعنى أن للصوت أثراً كبيرا في تحديد المعنى وهذا الامر انتبه اليه اللغويون ، ومنهم ابن جني الذي أكّد ارتباط صوتية الكلمة بمعناها ، وهذا ما ذكره في كتابه الخصائص ، الذي وضع من خلاله ثلاثة أبواب ، هي (باب قوة اللفظ لقوة المعنى) وباب (إمساس الالفاظ أشباه المعاني) وباب (تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني).

ومن خلال هذه الابواب يمكن ان نوضح ما يأتي :

١- إن تكرار الحرف في اللفظ يقابل تكرار الحدث أو الفعل في الواقع ، نحو : الزعزعة ، والقلقلة ، والقعقعة ، ونحوها .

٢- ان توالي الحركات في اللفظ يقابل تواليها في الحدث ، نحو : البَشَكَى (صفة للسريعة) ، والوَلَقَى (نوع من العَدْو).

٣- إنّ ترتيب الحروف في الكلمات يقابل ترتيب الافعال التي تدل على تلك الكلمات ، نحو استسقى واستوهب ، واستفهم ، فرتّب في هذه الامثلة الحروف على ترتيب الافعال ، لان (استفعل) فيه الهمزة والسين والتاء زائدة ، ثم الفاء والعين واللام الاصلية ، وقد تبعت حروف الاصل الحروف الزائدة التي وضعت للالتماس والمسألة ، وهما قبل حدوث الفعل ، لأنهما طلب له .

٤- ان تكرار العين في الفعل يقابل تكرار الحدث ، فقالة : كسّر ، وقطّع ، وغلّق ، وذلك أنهم لما جعلوا الالفاظ دليلة المعاني ، فأقوى اللفظ ينبغي ان يقابل به قوة الفعل (الحدق) ، والعين في الميزان الصرفي أقوى من الفاء واللام ، وذلك لانها واسطة لهما وهما سياج لها ، إذ قلّما تجد الحذف في العين .

٥- ان تكرار العين واللام في البناء يدلّ على المبالغة في المعنى ، والاصل هو تكرار العين ، الا انّ اللام ضامّتها تبعا لها ، نحو: صمحمح (الرجل الشديد) ، وغشمشم (من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء).

٦- ان الابنية بأصوات حروفها تقابل أصوات الاحداث أو الافعال التي تدل عليها ، نحو : الخضم والقضم ، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ ، والقضم للصلب كالشعير ، فقد اختاروا الخاء في الخضم لرخاوتها في الدلالة على الرطب ، والقاف في القضم ، لصلابتها في الدلالة على اليابس حذواً لمسوع الاصوات على محسوس الاحداث . ومنها أيضا : النضح والنضخ ، فالخاء أقوى من الحاء، ومن الامثلة أيضا قوله تعالى ((ألم ترَ أنا انزلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزّاً)). أز ، وهو بمعنى أقلق وأزعج ، فالهمزة أخت الهاء في المخرج الحلقي ، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين ، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة (أزَّ) ؛ لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ .

٧- ان ترتيب أصوات الحروف في الابنية يقابل تركيب الاحداث أو الافعال في الواقع ، فأوّل الحروف في الكلمة يقابل أول الحدث في الواقع ، وأوسطها يقابل أوسطه ، وآخرها يقابل آخره ، سوقاً للحروف سمت

المعنى المقصود والغرض المطلوب ، من ذلك قولهم : جرّ الشيء ، قدّموا الجيم لأنها حرف شديد ، وأول الجرَ مشقة على الجار والمجرور جميعا ، ثم عقبوا ذلك بالرّاء وهي حرف مكرر – وكرروها – لأنها مشدّدة مع ذلك ، لأن الشيء اذا جرَّ على الارض في غالب الامر اهتزّ عليها واضطرب صاعدا عنها ونازلا اليها ، وتكرّر ذلك منه على ما فيه من القلق ، فكانت الراء – لما فيها من التكرار ، ولأنها ايضا قد كرّرت – أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها .

٨- أن تأخذ اصلا من الاصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجمع التراكيب الستة، ومن الامثلة عللا ذلك الفعل (جبر) فهذه الاحرف أين وقعت فهي للقوة والشدة منها : جبر العظم : إذ قوّيته ، ورجل مجرّب اذا اشتدت شكيمته ، ومنه : الجراب ، لأنه يحفظ ما فيه ، واذا حفظ الشيء اشتد وقوي ، ومنه الابجر والبُجرة وهو القوي السرّة ، وكذلك البرج ، لقوته في نفسه وقوة ما يليه به ، ورجّبتُ الرجل ، اذا عظّمته وقوّيت أمره ، والرّباجي ، هو الرجل يفخر بأكثر من فعله .

أمثلة على دلالة بعض الحروف ، وهي :

- الغين / تدل على الاستتار والخفاء في المواد المعجمية التالية ، نحو :

غاب ، غار ، غام ، غمد ، غمض ، غرب ، غرق .

- النون / تدل على الظهور والبروز كما في المواد التالية ، نحو :

نفث ، نفخ ، نبت ، نهذ ، نبت ، نمى ، نزف ، نجم ، نشأ.

- القاف / تدل على معنى الاصطدام ، أو الانفصال مقترنا بصوت شديد تصوره القاف في شدتها ، كما في المواد التالية ، نحو :

قطع ، قرع ، قصم ، قسم .....

لا شك في ان كثيرا مما ذكره القدماء أو المحدثون حول القيمة التعبيرية للحرف الواحد ينبغي ان يؤخذ بالمزيد من الاحتراز حتى لا ينساق المرء وراء بضعة أمثلة لا تكفي لحسم قضية مهمة كهذه .